بسم الله الرحمن الرحيم

- فَضِيلَةَ الإِمَامِ الأَكبَرِ.
- أَصحَابَ الفَخَامَةِ وَالدَّولَةِ.
- أَصحَابَ المَعَالِي وَالفَضِيلَةِ وَالغِبطَةِ.
- السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ.

أَوَدُّ فِي البِدَايَةِ أَن أَتَقَدَّمَ بِجَزِيلِ الشُّكرِ لِفَضِيلَةِ الإِمَامِ الأَكبَرِ الدُّكتُورِ/أَحمَدِ الطَّيِّبِ- شَيخِ الجَامِعِ الأَزهَرِ، وَرَئِيسِ مَجلِسِ حُكَمَاءِ المُسلِمِينَ عَلَى هَذَا الاِجتِمَاعِ المهمِّ فِي هَذَا التَّوقِيتِ؛ لِتَدَاوُلِ الرَّأيِ حَولَ مَدِينَةِ القُدسِ الشَّرِيفِ، المَدِينَةِ الوَحِيدَةِ فِي العَالَمِ الَّتِي تُعتَبَرُ رَمزًا مُقَدَّسًا لِلأَديَانِ السَّمَاوِيَّةِ الثَّلَاثَةِ.

مَوضُوعُ حَدِيثِي اليَومَ هُوَ عَن مَسئُولِيَّةِ المُنَظَّمَاتِ الدَّولِيَّةِ، أَو عَلَى وَجهِ الخُصُوصِ مَسئُولِيَّةِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ تِجَاهَ القُدسِ.

نُقطَةُ البِدَايَةِ فِي حَدِيثِي هِيَ مَا إِذَا كَانَت هُنَاكَ قَوَاعِدُ قَانُونِيَّةٌ مُلزِمَةٌ تُنَظِّمُ عَالَمَ اليَومِ وَتُحَدِّدُ مَسئُولِيَّاتِ المُنَظَّمَاتِ الدَّولِيَّةِ، أَم أَنَّنَا فِي بِدَايَاتِ القَرنِ الوَاحِدِ وَالعِشرِينَ قَد عُدنَا إِلَى الوَرَاءِ إِلَى عَالَمٍ تُسَيطِرُ عَلَيهِ شَرِيعَةُ الغَابِ.

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِلِسطِينَ نَجِدُ أَنَّهُ مُنذُ البِدَايَةِ يَتِمُّ تَجَاهُلُ حُقُوقِ الشَّعبِ الفِلِسطِينِيِّ. فِلِسطِينُ - كَمَا تَعلَمُونَ جَمِيعًا - كَانَت تَحتَ الاِنتِدَابِ البِرِيطَانِيِّ إِبَّانَ فَترَةِ عُصبَةِ الأُمَمِ، وَكَانَ نِظَامُ الاِنتِدَابِ يَقضِي بِأَنَّ فِلِسطِينَ وَالأَقَالِيمَ الأُخرَى فِي المَنطِقَةِ الَّتِي كَانَت تَحتَ الاِنتِدَابِ، مِثلَ: العِرَاقِ وَسُورِيَا وَلِبنَانَ يُعلَنُ اِستِقلَالُهَا فَورًا، وَبِالرَّغمِ مِن ذَلِكَ اِستَقَلَّت الدُّوَلُ الثَّلَاثَةُ الشَّقِيقَةُ دُونَ إِعلَانِ اِستِقلَالِ فِلِسطِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ نَظَرَت الجَمعِيَّةُ العَامَّةُ فِي المَوضُوعِ وَأَصدَرَت قَرَارَهَا المُجحِفَ فِي ٢٩ نُوفَمبِرَ سَنَةَ (٤٧) دُونَ اِستِطلَاعِ رَأيِ سُكَّانِ الإِقلِيمِ، كَمَا كَانَت تَقضِي القَوَاعِدُ، وَدُونَ مُحَاوَلَةِ مَعرِفَةِ رَأيٍ أَو مَشُورَةٍ قَانُونِيَّةٍ مِن مَحكَمَةِ العَدلِ الدَّولِيَّةِ، كَمَا طَلَبَت الدُّوَلَ العَرَبِيَّةُ الَّتِي كَانَت مُستَقِلَّةً.

عِندَئِذٍ صَدَرَ القَرَارُ -كَمَا نَعلَمُ جَمِيعًا- المُجحِفُ يُعطِي اليَهُودَ الَّذِينَ كَانَ بَعضُهُم لَم يَستَقِرّ بَعدُ فِي فِلِسطِينَ (٥٦) فِي المِائَةِ مِن الإِقلِيمِ، وَ(٤٤) فِي المِائَةِ أُعطِيَت لِلأَغلَبِيَّةِ الفِلِسطِينِيَّةِ.

وَبِالرَّغمِ مِن ذَلِكَ - بِالرَّغمِ مِن هَذَا الإِجحَافِ - رَاعَت الجَمعِيَّةُ العَامَّةُ الوَضعَ القَاسِي لِمَدِينَةِ القُدسِ الشَّرِيفِ، وَأَفرَدَت لَهَا مَركَزًا قَانُونِيًّا دَولِيًّا، أُطلِقَ عَلَيهِ

بِاللَّاتِينِيَّةِ (كُوربرسِيبرَاتُو) -أَي: كَيانٌ مُستَقِلٌ- عَلَى أَن يَتَوَلَّى مَجلِسُ الوِصَايَةِ التَّابِعِ لِلأُمَمِ المُتَّحِدَةِ إِدَارَتَهَا، وَكَانَت الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ مِن أَشَدِّ الدُّوَلِ الَّتِي تُؤَيِّدُ هَذَا التَّوَجُّهَ.

بَعدَ اِحتِلَالِ إِسرَائِيلَ لِلأَرَاضِي الفِلِسطِينِيَّةِ المُحتَلَّةِ عَامَ (٦٧) أَصدَرَ مَجلِسُ الأَمنِ بِإِجمَاعِ جَمِيعِ الدُّوَلِ - بِمَا فِيهَا الوِلَايَاتُ المُتَّحِدَةُ - عَلَى أَنَّ جَمِيعَ التَّدَابِيرِ الإِسرَائِيلِيَّةِ الَّتِي تَرمِي إِلَى تَغيِيرِ المَعَالِمِ المَادِّيَّةِ وَالتَّركِيبِ السُّكَّانِيِّ وَالهَيكَلِ المُؤَسَّسِيِّ فِي القُدسِ لَيسَ لَهَا أَيُّ قِيمَةٍ قَانُونِيَّةٍ.

كَمَا قَرَّرَ مَجلِسُ الأَمنِ فِي قَرَارٍ آخَرَ اِعتِبَارَ جَمِيعِ هَذِهِ الإِجرَاءَاتِ بَاطِلَةً، وَلَا بُدَّ مِن إِلغَاءِهَا، وَعَلَى مَدَى نِصفِ قَرنٍ اِحتَرَمَت جَمِيعُ الدُّوَلِ -بِمَا فِي ذَلِكَ الحُكُومَاتُ الأَمرِيكِيَّةُ المُتَعَاقِبَةُ- الإِلتِزَامَاتِ الدَّولِيَّةَ تِجَاهَ القُدسِ.

فِي ضَوءِ مَا سَبَقَ يَتَّضِحُ تَمَامًا أَنَّ القَرَارَ الَّذِي اِتَّخَذَهُ الرَّئِيسُ (تِرَامبُ) يَحوِي تَحَدِّيًا صَارِخًا، لَيسَ فَقَط لِفِلِسطِينَ أَو لِلدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ تَحَدِّيًا صَارِخًا لِأَهَمِّ قَاعِدَةٍ فِي القَانُونِ الدَّولِيِّ المُعَاصِرِ؛ وَهِيَ قَاعِدَةُ تَحرِيمِ اِستِخدَامِ القُوَّةِ فِي العِلَاقَاتِ الدَّولِيَّةِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيهَا مِن عَدَمِ جَوَازِ اِكتِسَابِ الأَرَاضِي عَن طَرِيقِ الحَربِ، وَهِيَ مَا تُؤَكِّدُهُ المَادَّةُ الثَّانِيَةُ مِن المِيثَاقِ الَّتِي تَنُصُّ عَلَى أَن يَمتَنِعَ أَعضَاءُ الأُمَمِ المَتَّحِدَةِ جَمِيعًا فِي عِلَاقَتِهِم الدَّولِيَّةِ عَن التَّهدِيدِ بِاِستِخدَامِ السُّلطَةِ، أَو اِستِخدَامِهَا ضِدَّ سَلَامَةِ الأَرَاضِي أَو الاِستِقلَالِ السِّيَاسِيِّ لِأَيِّ دَولَةٍ.

مِن جِهَةٍ أُخرَى -وَيَجِبُ أَن نَتَذَكَّرَ ذَلِكَ دَائِمًا- أَنَّ مَحكَمَةَ العَدلِ الدَّولِيَّةَ فِي أَكثَرِ مِن مَرَّةٍ أَكَّدَت أَنَّ الأُمَمَ المُتَّحِدَةَ تَتَحَمَّلُ مَسئُولِيَّةً خَاصَّةً تِجَاهَ الشُّعُوبِ الَّتِي كَانَت خَاضِعَةً تَحتَ الاِنتِدَابِ، هُنَاكَ مَسئُولِيَّةٌ دَولِيَّةٌ خَاصَّةٌ تِجَاهَ الشُّعُوبِ الَّتِي كَانَت تَحتَ الاِنتِدَابِ وَلَم تَحصُل بَعدُ عَلَى اِستِقلَالِهَا، وَالآنَ لَا يُوجَدُ إِلَّا الشَّعبُ الفِلِسطِينِيُّ، وَأَكَّدَت أَنَّ مُستَقبَلَ هَذِهِ الشُّعُوبِ يُعتَبَرُ مَسئُولِيَّةً مُقَدَّسَةً لِلإِنسَانِيَّةِ جَمعَاءَ؛ أَي إِنَّ جَمِيعَ الدُّوَلِ وَالمُنَظَّمَاتِ تَقَعُ عَلَيهَا مَسئُولِيَّةٌ خَاصَّةٌ تِجَاهَ الشَّعبِ الفِلِسطِينِيِّ، وَتِجَاهَ مَدِينَةِ القُدسِ الشَّرِيفِ.

وَلَا يَصِحُّ أَن تَقُومَ أَيُّ دَولَةٍ بِأَيِّ خُطوَةٍ تُؤَدِّي إِلَى المَسَاسِ بِالمَركَزِ القَانُونِيِّ لِلشَّعبِ الفِلِسطِينِيِّ، وَبِالتَّالِي لِمَدِينَةِ القُدسِ.

بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ أَوَدُّ أَن أُشِيرَ -وَلَو أَنَّهَا مَوضُوعٌ تَارِيخِيٌّ لَكِن مهمٌّ- أَنَّ قِيَامَ إِسرَائِيلَ فِي ١٥ مَايُو ١٩٤٨م الَّذِي أَعلَنَتهُ الوِكَالَةُ اليَهُودِيَّةُ جَاءَ فِيهِ بِالنَّصِ: أَنَّهُ مَبنِيٌّ عَلَى قُوَّةِ قَرَارِ الجَمعِيَّةِ العَامَّةِ لِلأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، الَّذِي نَصَّ

صَرَاحَةً عَلَى أَنَّ لِلقُدسِ مَركَزًا قَانُونِيًّا خَاصًّا- كَمَا ذَكَرتُ - بِمَعنَى أَنَّ قَرَارَ (تِرَامبَ) كَذَلِكَ فِي وَاقِعِ الأَمرِ يَتَعَارَضُ قَانُونِيًّا وَدُستُورِيًّا مَعَ قَرَارِ التَّقسِيمِ، وَمَعَ قَرَارِ إِعلَانِ قِيامِ إِسرَائِيلَ: إِذَا أَخَلَّت الدَّولَةُ بِكُلِّ هَذِهِ المَسئُولِيَّاتِ وَاتَّخَذَت إِجرَاءَاتٍ تَتَعَارَضُ مَعَ هَذِهِ المَسئُولِيَّةِ الدَّولِيَّةِ الَّتِي تَنصَرِفُ آثَارُهَا إِلَى جَمِيعِ الدُّوَلِ، حِينَئِذٍ تَقَعُ عَلَى بَاقِي الدُّوَلِ مُعَارَضَةُ هَذَا المَوقِفِ، مُعَارَضَةُ كُلِّ إِجرَاءٍ يُخَالِفُ القَانُونَ الدَّولِيَّ.

هَذَا هُوَ المَفرُوضُ، وَلَكِن فِي وَاقِعِ الأَمرِ عَلَينَا أَن نُقِرَّ بِأَنَّ المُجتَمَعَ الدَّولِيَّ فِي المَرحَلَةِ المُعَاصِرَةِ لَيسَ المَدِينَةَ الفَاضِلَةَ الَّتِي تَحَدَّثَ عَنهَا الفَارَبِي فِي المَاضِي، وَأَنَّنَا نَعِيشُ فِي عَالَمٍ مَضطَرِبٍ، وَنَشهَدُ مُخَالَفَاتٍ جَسِيمَةً كَثِيرَةً لِلشَّرعِيَّةِ الدَّولِيَّةِ الَّتِي تَعكِسُهَا قَرَارَاتُ الأُمَمِ المَعنِيَّةِ، وَلَكِن -وَفِي نَفسِ الوَقتِ وَبِالقَطعِ- تَتَّفِقُونَ مَعِي أَنَّ شَرِيعَةَ الغَابِ ذَهَبَت إِلَى غَيرِ رَجعَةٍ، وَعَلَينَا أَن نُصَحِّحَ الأَوضَاعَ.

وَالتَّسَاؤُلُ الآنَ: أَينَ يَتَّجِهُ المُجتَمَعُ الدَّولِيُّ إِزَاءَ إِقدَامِ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ عَلَى اقتِرَافِ مُخَالَفَةٍ جَسِيمَةٍ لِقَوَاعِدِ الشَّرعِيَّةِ الدَّولِيَّةِ، وَتَعُودُ بِنَا إِلَى المَاضِي؟

فَالقَرَارُ الأَمرِيكِيُّ فِي وَاقِعِ الأَمرِ لَيسَ مُوَجَّهًا ضِدَّ فِلِسطِينَ، وَلَيسَ مُوَجَّهًا ضِدَّ العَرَبِ، وَلَيسَ لِإِرضَاءِ إِسرَائِيلَ، وَلَكِنَّهُ أَكبَرُ مِن ذَلِكَ بِكَثِيرٍ؛ لِأَنَّهُ يُعتَبَرُ طَعنَةً فِي صَمِيمِ النِّظَامِ الدَّولِيِّ المُعَاصِرِ، فَذَلِكَ بِجَلَاءٍ عِندَ التَّصوِيتِ فِي مَجلِسِ الأَمنِ مُؤَخَّرًا؛ فَقَد اتَّخَذَ جَمِيعُ أَعضَاءِ المَجلِسِ حَتَّى أَصدِقَاءُ وَحُلَفَاءُ الوِلَايَاتِ المُتَّحِدَةِ مَوقِفًا جَمَاعِيًّا وَاحِدًا ضِدَّ قَرَارِ (تِرَامبَ)، وَلَكِن وَاقِعُ الحَيَاةِ المُعَاصِرَةِ لَا بُدَّ أَن يَجعَلَنَا نُقِرُّ بِأَنَّ المُجتَمَعَ الدَّولِيَّ قَد نَجَحَ فِي سَنَوَاتِ مَا بَعدَ الحَربِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ فِي إِقرَارِ أَحكَامٍ قَانُونِيَّةٍ عَدِيدَةٍ مهمَّةٍ تُنَظِّمُ جَمِيعَ أَركَانِ الحَيَاةِ، فَهُنَاكَ قَوَانِينُ تُنَظِّمُ المُجتَمَعَاتِ الدَّولِيَّةَ عَلَى الأَرضِ، فِي البِحَارِ، فِي قَاعِ البِحَارِ، فِي السَّمَاءِ، فِي الفَضَاءِ الخَارِجِيِّ، حُقُوقِ الإِنسَانِ، الأَنهَارِ الدَّولِيَّةِ فِي كُلِّ شَيءٍ.

وَلَكِنَّ النِّظَامَ القَضَائِيَّ لَا يَتَمَاشَى مَعَ هَذَا، اِسمَحُوا لِي أَن أَضرِبَ مَثَلًا: شَخصٌ اِرتَكَبَ مُخَالَفَةً جَسِيمَةً بِحَقِّ جَارِهِ، يَستَطِيعُ الجَارُ الِالتِجَاءَ إِلَى القَضَاءِ؛ وَيَنجَحُ فِي إِزَالَةِ آثَارِ هَذِهِ المُخَالَفَةِ الجَسِيمَةِ، وَالحُصُولِ عَلَى التَّعوِيضِ المُنَاسِبِ، وَلَكِن مِن جِهَةٍ أُخرَى إِذَا اقتَرَفَت دَولَةٌ مُخَالَفَةً جَسِيمَةً فِي حَقِّ دَولَةٍ أُخرَى فَلَا تَملِكُ الدَّولَةُ المُضَارَّةُ إِلَّا أَحَدَ أَمرَينِ:

- إِمَّا الذِّهَابُ إِلَى مَجلِسِ الأَمنِ، وَهُوَ جِهَازٌ سِيَاسِيٌّ يُسَيطِرُ عَلَيهِ وَيَتَحَكَّمُ فِيهِ مَا يُطلَقُ عَلَيهِ (الفِيتُو)، أَي: اِعتِرَاضُ دَولَةٍ مِن الدُّوَلِ الخَمسِ الكُبرَى دَائِمَةِ العُضوِيَّةِ، أَي: غَيرُ مَضمُونِ العَوَاقِبِ.
- أَو مُحَاوَلَةُ الإِلتِجَاءِ إِلَى جِهَةٍ قَضَائِيَّةٍ دَولِيَّةٍ مِثلُ (مَحكَمَةِ العَدلِ الدَّولِيَّةِ) أَو: (التَّحكِيمِ الدَّولِيِّ) إِذَا مَا تَوَافَرَت شُرُوطُ مُوَافَقَةِ الدَّولَةِ الأُخرَى.
القَضَاءُ الدَّولِيُّ يَختَلِفُ عَن القَضَاءِ الدَّاخِلِيِّ؛ القَضَاءُ الدَّولِيُّ يَجِبُ مُوَافَقَةُ الطَّرَفِ الآخَرِ، إِذَا لَم تَكُن مَوجُودَةً فَلَا يَستَطِيعُ القَضَاءُ الدَّولِيُّ - لِلأَسَفِ حَتَّى الآنَ- النَّظَرَ فِي هَذَا الأمرِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ النِّظَامَ الدَّولِيَّ الحَالِي لَم يُنشِئ جِهَازًا دَولِيًّا مُستَقِلًّا لِتَنفِيذِ القَرَارَاتِ الَّتِي تَصدُرُ عَن مُختَلَفِ الأَجهِزَةِ، فَلَا يُوجَدُ جِهَازٌ دَولِيٌّ مُستَقِلٌّ يَتَوَلَّى مَسئُولِيَّةَ التَّحَقُّقِ مِن أَنَّ كُلَّ قَرَارٍ صَدَرَ مِن أَحَدِ الأَجهِزَةِ وِفقًا لِمَسئُولِيَّةِ هَذَا الجِهَازِ، أَو حُكمًا قَضَائِيًّا صَدَرَ مِن مَحكَمَةٍ مُختَصَّةٍ قَد تَمَّ تَنفِيذُهُ، أَي إِنَّ النِّظَامَ الدَّولِيَّ يَفتَقِرُ إِلَى شُرطَةٍ دَولِيَّةٍ مِثلِ القَائِمَةِ فِي الأَنظِمَةِ وَالتَّشرِيعَاتِ دَاخِلَ مُختَلَفِ الدُّوَلِ.
وَبِالتَّالِي يَحِقُّ تَشبِيهُ النِّظَامَ القَانُونِيَّ الدَّولِيَّ الحَالِي بِأَنَّهُ بِمَثَابَةِ سِلسِلَةٍ قَوِيَّةٍ وَاضِحَةِ المَعَالِمِ فِي أَغلَبِ حَلَقَاتِهَا، وَلَكِنَّ الحَلقَةَ الأُولَى وَالحَلقَةَ الأَخِيرَةَ يَتَّسِمَانِ بِالضَّعفِ وَالقُصُورِ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ هُنَاكَ نَقصًا وَعَوَارًا يَلحَقُ بِالسِّلسِلَةِ بِرُمَّتِهَا.
يَثُورُ التَّسَاؤُل: إِذَا كَانَ لَا يُوجَدُ جِهَازٌ دَولِيٌّ مُستَقِلٌ لِتَنفِيذِ القَوَاعِدِ الدَّولِيَّةِ فَمَا هُوَ مَظَنُّ التَّنفِيذِ؟
الإِجَابَةُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ مُعَقَّدَةٌ وَصَعبَةٌ، وَلَكِن يُمكِنُ إِثَارَةُ بَعضِ النِّقَاطِ:
أَوَّلًا: مِن نَاحِيَةِ المَبدَأ - الدُّوَلُ، جَمِيعُ الدُّوَلِ كَمُؤَسَّسَاتٍ تَقُومُ عَلَى احتِرَامِ القَانُونِ أَمَامَ الدُّوَلِ الأُخرَى وَأَمَامَ أَفرَادِهَا، لَا تَستَطِيعُ أَن تَقُولَ: أَنَا أُخَالِفُ القَانُونَ، تُحَاوِلُ تُبَرِّرُ هَذَا؛ لِأَنَّهَا تَستَمِرُّ سَيطَرَتُهَا عَلَى مَقَادِيرِ الأُمُورِ فِي الدَّاخِلِ بِادِّعَاءِهَا التَّمَسُّكَ بِأَهدَافِ الشَّرعِيَّةِ، وَلَا تَملِكُ الظُّهُورَ بِأَنَّهَا خَارِجُ إِطَارِ الشَّرعِيَّةِ الدَّولِيَّةِ.
كَذَلِكَ الدُّوَلُ - بِاستِثنَاءِ بَعضِ الدُّوَلِ المَارِقَةِ كَإِسرَائِيلَ - تَحتَرِمُ سُمعَتَهَا، وَتَخشَى أَن يُنظَرَ إِلَيهَا عَلَى أَنَّهَا خَارِجُ إِطَارِ الشَّرعِيَّةِ الدَّولِيَّةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مَحكَمَةَ العَدلِ الدَّولِيَّةَ أَصدَرَت حَتَّى الآنَ مَا يَقرُبُ مِن (١٠٠) حُكمٍ، نُفِّذَت جَمِيعُهَا، وَإِن أُصِيغَت بَعضُ مَشَاكِلَ فِي ثَلَاثَةِ أَحكَامٍ.

فِي نِهَايَةِ المَطَافِ يَسمَحُ مِيثَاقُ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ- بِالطَّبعِ- لِلدَّوَلِ الِالتِجَاءَ إِلَى مَجلِسِ الأَمنِ لِتَنفِيذِ أَحكَامِ مَحكَمَةِ العَدلِ الدَّولِيَّةِ مَعَ وُجُودِ تَحَفُّظٍ عَامٍّ بِأَنَّ المَجلِسَ يَعمَلُ فِي إِطَارٍ سِيَاسِيٍّ، وَبِالتَّالِي لَا يُعتَبَرُ - فِي نَظَرِي - الجِهَازَ الأَمثَلَ لِحِمَايَةِ الشَّرعِيَّةِ الدَّولِيَّةِ.

وَهُنَا يَحِقُّ التَّسَاؤُلُ: إِذَا كَانَ التَّوَجُّهُ إِلَى قَضَاءِ الدَّولَةِ لَيسَ مُتَاحًا.. وَإِذَا كَانَ الِاتِّجَاهُ إِلَى الجِهَازِ السِّيَاسِيِّ المَعنِيِّ وَمَجلِسِ الأَمنِ لَيسَ مِن الأَكِيدِ أَن يَنجَحَ، فَأَينَ المَخرَجُ؟

يَحضُرُنِي هُنَا - وَاِسمَحُوا لِي أَن أَقُولَ هَذَا - قَولُ أَحَدِ فَلَاسِفَةِ القَانُونِ: «إِنَّ القَانُونَ يُطَبَّقُ عَلَى الأَرضِ، أَمَّا تَحقِيقُ العَدَالَةِ فَهُوَ فِي السَّمَاءِ».

وَالتَّسَاؤُلُ هُنَا: هَل هُنَاكَ وَسَائِلُ تَسمَحُ بِجَذبِ العَدَالَةِ إِلَى الأَرضِ؟ هَذَا مَا يَسعَى إِلَيهِ الفَردُ مُنذُ بِدَايَةِ الخَلِيقَةِ.

فَفِي نَظَرِي: يَجِبُ أَن تَكُونَ الإِجَابَةُ بِالإِيجَابِ، وَلَكِنَّ تَحقِيقَهَا يَتِمُّ بِبُطءٍ وَعَلَى المَدَى البَعِيدِ، وَهُنَاكَ دَائِمًا خِيَارَاتٌ صَعبَةٌ خَارِجَ صُندُوقِ المَسَارَاتِ التَّقلِيدِيَّةِ، وَيَجِبُ طَرقُهَا وَاِستِغلَالُ شِبهِ الإِجمَاعِ الدَّولِيِّ عَلَى رَفضِ قَرَارِ (تِرَامبَ) بِشَأنِ القُدسِ، وَيَجِبُ اِستِغلَالُ الأَهَمِّيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ وَالقَانُونِيَّةِ لِمَدِينَةِ القُدسِ؛ لِتَجنِيدِ الرَّأيِ العَامِّ العَالَمِيِّ لِأَهَمِّيَّةِ إِنهَاءِ الِاحتِلَالِ الإِسرَائِيلِيِّ لِلأَرَاضِي المُحتَلَّةِ.

فَقَد نَجَحَت إِسرَائِيلُ فِي تَضمِينِ وَتَطوِيعِ أُسُسِ تَحقِيقِ السَّلَامِ الوَارِدَةِ فِي القَرَارِ(٢٤٠) بِما يُحَقِّقُ مَصَالِحَهَا، وَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ: نَجَحَت إِسرَائِيلُ فِي مُؤتَمَرِ مَدرِيدَ فِي أُكتُوبَرَ ٩١ فِي تَغيِيرِ المُعَادَلَةِ الَّتِي أُسِّسَ عَلَيهَا قَرَارُ مَجلِسِ الأَمنِ، فَالقَرَارُ يَنُصُّ عَلَى أَهدَافٍ وَاضِحَةِ المَعَالِمِ، نَابِعَةٍ مِن نُصُوصِ المِيثَاقِ وَأَحكَامِ القَانُونِ الدَّولِيِّ، أَقَرَّهَا مَجلِسُ الأَمنِ، وَعَلَى الأَطرَافِ الِالتِزَامُ القَانُونِيُّ بِتَنفِيذِهَا بِحُسنِ نِيَّةٍ، وَلَكِنَّ إِسرَائِيلَ اِستَطَاعَت فِي مُؤتَمَرِ مَدرِيدَ قَلبَ هَذِهِ المُعَادَلَةِ، وَنَجَحَت فِي تَعوِيمِ الِالتِزَامِ، وَوَضعَهَا فِي قَالَبٍ تَفَاوُضِيٍّ بِحَيثُ يَخرُجُ المُؤتَمَرُ بِمُعَادَلَةِ إِقرَارِ مَبدَأِ التَّفَاوُضِ عَلَى جَمِيعِ الأُمُورِ، وَلَيسَ تَنفِيذَ قَوَاعِدَ دَولِيَّةٍ مُلزِمَةٍ، وَعَدَمِ تَحدِيدِ مَوعِدٍ أَو جَدوَلٍ زَمَنِيٍّ لِلِانتِهَاءِ مِن تَنفِيذِ الِالتِزَامَاتِ المُتَقَابِلَةِ.

فَإِسرَائِيلُ - كَمَا نَعلَمُ جَمِيعًا - هِيَ الدَّولَةُ الوَحِيدَةُ فِي العَالَمِ الَّتِي تَعتَبِرُ عُنصُرَ الوَقتِ هَدَفًا إِستِرَاتِيجِيًّا، وَلَيسَ هَدَفًا تِكتِيكِيًّا مِثلَمَا تَفعَلُ جَمِيعُ الدُّوَلِ الأُخرَى.

وَالمَطلُوبُ الآنَ التَّركِيزُ عَلَى مَا تَقُومُ بِهِ إسرَائِيلُ تِجَاهَ الشَّعبِ الفِلسطِينِيِّ؛ حَيثُ إِنَّهَا تُمَثِّلُ آخِرَ مَعَاقِلِ العُنصُرِيَّةِ فِي القَرنِ العِشرِينَ، وَأَن نَعمَلَ عَلَى إِثَارَةِ الضَّمِيرِ العَالَمِيِّ؛ لِنَجدَةِ الشَّعبِ الفِلسطِينِيِّ، وِاتِّخَاذِ خُطُوَاتٍ جَادَّةٍ نَحوَ تَغيِيرِ النِّظَامِ الدَّولِيِّ العَالَمِيِّ؛ لِيَكُونَ فِي هَذَا الِاتِّجَاهِ.

قَبلَ أَن أَختِمَ كَلِمَتِي أَوَدُّ أَن أَقُولَ: إِنَّهُ قَد يَكُونُ مُستَقبَلُ القُدسِ الشَّرِيفِ خَيرَ بِدَايَةٍ لِإِجرَاءِ الإِصلَاحَاتِ المَطلُوبَةِ فِي النِّظَامِ الدَّولِيِّ؛ بِحَيثُ تَتَحَقَّقُ العَدَالَةُ الدَّولِيَّةُ لِمَدِينَةِ القُدسِ وَلِلشَّعبِ الفِلسطِينِيِّ الشَّقِيقِ، وَأُشَارِكُ فِي مُطَالَبَةِ جَمِيعِ الدُّوَلِ بِالِاعتِرَافِ الفَورِيِّ بِالدَّولَةِ الفِلسطِينِيَّةِ.

وَأَشكُرُ فَضِيلَةَ الإِمَامِ الأَكبَرِ عَلَى اِعتِبَارِ عَامِ ٢٠١٨م عَامَ القُدسِ.

خِتَامًا: تَحِيَّةً - كَمَا ذَكَرَت السَّفِيرَةُ /مُشِيرَةُ خَطَّابٍ - لِـ(عَهدِ التَّمِيمِيِّ) الَّتِي رَفَعَت بِبَسَالَةٍ رِسَالَةَ مُقَاوَمَةِ الِاحتِلَالِ الإِسرَائِيلِيِّ.

وَشُكرًا